ذكرى الشاعر

صـــــالح على شرنوبي

للأستاذ محمد صبرى على سليم

كان لزاما على أن أكتب هذه الكلمات بعد أن صرنا على بعد عام من مصرع شاعرنا الشاب صالح على شرنوبى .. ففى مثل هذه الأيام من عام مضى ، صعدت روح صالح إلى بارئها إثر حادث أليم

... كان صالح رحمه الله شاعرا مرهف الحس ، مشبوب العاطفة ، قوى الإحساس ، ولقد عرفته طالبا بالقسم الثانوى بمعهد طنطا — وإن لم أره — وكنت حينئذ طالبا بالقسم الابتدائى فى نفس المعهد . عرفته من قصائده الحماسية التى كان يطالعنا بها فى مجلة « الفكر الجديد » وكان يصدرها فى ذلك الوقت الأستاذ حلمى المنياوى . وذات يوم بحثت عن المجلة فلم أجدها ، ولما تساءلت عن احتجابها علمت أن الرقابة صادرتها لأنها نشرت قصيدة ثائرة لصالح . وبعد ذلك بأيام توقفت المجلة عن الصدور ، لأن ولاة الأمور وقتذاك زعموا أنها تحض على المبادئ الهدامة . . وظللت بعد ذلك أقرأ لصالح فى مختلف الجرائد والمجلات ، وكان إعجابى به يزداد كلما قرأت له . . ذلك لأنه لم يكن شاعرا كبقية الشعراء ، بل كان له مذهب خاص فى الشعر . استمع إليه فى قصيدة « أختى » حينما يصور لك حياة أخته البلهاء التى جنت عليها الأقدار فحرمتها نعمة الإدراك :

وتقول أمى حين تلقاك يا ليت قلبى ما تمناك
أوليت مهدك كان مثواك
لك فى بنات الحى أتراب عرساتهن لهن أحباب
فأتول والمقدور غلاب
قد خانك أنت الحظ يا أختى

فهل رأيت شاعرا بلغ فى دقة التصوير والتعبير مابلغه صالح ؟ لقد كان ذات ليلة فى نقابة المحامين ، ونظر حواليه فرأى امرأة فى خريف العمر تجلس وحدها مطرقة مفكرة . ولما سأل عنها قيل إنها كانت فى ربيع عمرها تلعب بقلوب الرجال ، أما اليوم فليس فيها ما يسر العيون . وراقبها صالح مدة ، ثم كتب قصيدته « أطلال راقصة » التى يقول فى مطلعها :

أطرق أطرق فقد ضمك الليـ ـل وألقى عليك ثوب ظلامه

إلى أن يقول :

لم يعد فيك ما يسر العيونا فاعذرى العابثات والعابثينا
وإذا أيقظت شجونك حورا . وأوحت بقبحك الشامتينا
فاسخرى من جمالها وصباها واحقريها بكثرة العاشقينا
أوعظيها فرب شيطانة منكن قالت فأبكت الواعظينا

وفى قصيدته « أشواق الربيع » تراه يخاطب تلك المجهولة ويسألها أن تعود إليه ، فهو غريب القلب والدار فيهتف :

تعالى يا ابنة الأحلام يا مجهولة النيات
تعالى يا ضياء لم ينور أفق ليلاتى
تعالى نجمع الماضى الذى راح إلى الآتى
تعالى يا غراما تاه فى دنيا الصبابات
تعالى طهرى بالحب آثامى وأوزارى
تعالى فأنا وحدى غريب القلب والدار
طريدا مثل أحلامى شريدا مثل أفكارى

ويلح عليها أن تسرع بالعودة إليه ، فقد يخنقها التراب ولم يتمتعا بالحياة ، فيكرر هتافه :

تعالى نخلق الحب فقد يخلقنا الحب
فقد يخنقنا التراب ولم نعشق ولم نصب

وتراه ينظر إلى الناس يأكل بعضهم بعضا ، ويلغ بعضهم فى دم بعض ، فيشمئز ويتألم ويثور ، وتتمثل ثورته فى قوله من قصيدة « السراب الخالد » :

وحوالى من بنى الطين أشباه قطيع مشرد فى يفاع
دعهم ماؤهم وراعيهم الذئب وأعراضهم سفوح المراعى

ويحزنه من بنى الطين أنهم لا يحسون الجمال ولا يتذوقون الحسن فيقول :

كلما رن مزهر أو شدا شاد أعاروه ميت الأسماع
ألهنا القطيع أنفق أيامى وتفنيتى الليالى الحزينه